

الضواهر اللغوية في القراءات القرآنية دراسة

في ضوء اللهجات العربية

مرتضى عباس فالح

كلية التربية - جامعة البصرة

المقدمة:

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على افصح من نطق بالضاد حبيب اله العالمين محمد واله الطيبين الطاهرين ، وبعد ، فمن دوافع السرور والاحترام الكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) وخدمة له ولتراثنا الخالد من لغة وتاريخ وغيرهما ، خضت في موضوع (الظواهر اللغوية في القراءات القرآنية - دراسة في ضوء اللهجات العربية) واقتضى الموضوع أن يكون منهجه كالاتي

المقدمة وبعدها ، التمهيد وفيه تعريف باللهجة لغة واصطلاحا وعلاقة اللهجة بالقراءات القرآنية ، ثم المبحث الأول : وقد درس فيه المستوى الصوتي ، وابرز ما وجده الباحث من ظواهر لغوية فيه :

المبحث الثاني : وقد ضم ابرز ما عرض للباحث من ظواهر لغوية في المستوى الصرفي .

المبحث الثالث : وقد درست فيه الظواهر اللغوية في المستوى النحوي .

المبحث الرابع : وكان قد اشتمل على ظواهر لغوية في المستوى الدلالي تلا ذلك خاتمة باهم نتائج البحث ، بعدها قائمة بأسماء المصادر والمراجع ، ثم فهرست المحتويات .

ورجع الباحث في ذلك الى مصادر ومراجع اختصت باللهجات العربية والقراءات القرآنية ، وكتب في الصوت والصرف والنحو والدلالة ومن ثم فاني لا ادعي الي اجدت في هذا الموضوع ، ولكن حسبي اني اردت خدمة القرآن الكريم واللغة العربية معا . والله ولي التوفيق.

*وحد أساليب الكلام في المقدمة . أما متكلم أو غائب.

التمهيد

اولا : اللهجة لغة واصطلاحا:

اللهجة في اللغة ((طرف اللسان ، او جرس الكلام ، ويقال : فصيح اللهجة واللهجة وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها))⁽¹⁾ .

وقد اختلفت دلالة (اللهجة) عند اللغويين المحدثين عنها عند القدماء ، فقد استعملوا كلمة (لغة) او (نحن) للدلالة على اللهجة بمفهومها الحديث⁽²⁾ .

اما في الاصطلاح فهي مجموعة من الخصائص اللغوية تنتمي الى بيئة معينة ويشترك فيها جميع افراد هذه البيئة التي تعد جزءا من بيئة اكبر تضم لهجات عدة يتميز بعضها من بعض بظواهرها اللغوية ، غير انها تتفق بظواهر أخرى تسهل اتصال افراد تلك البيئات بعضهم ببعض وفهم ما يدور بينهم من حديث⁽³⁾ .

ثانيا : موقف اللغويين والنحويين من اللهجات :

(1) العين - ٣٩١/٣ (نهج) ، وينظر : التهذيب ٦/٥٥ (لهج) . والمخصص : مج ١ ، س ١/٥٥ ، والمحكم ، ٤/١٢٠ ، واللسان ، ٢/٣٥٩ (لهج) .

(2) ينظر : في اللهجات العربية ١٦ ، والتطور اللغوي التاريخي ٣٤ .

(3) ينظر : المصدران و الصفحة السابقة ، وهناك تعريفات أخرى ، ينظر : القراءات واللهجات : ونهاجت العرب ، والعربية ولهجاتها ٢٣ ، ونحو وعي لغوي ٤٠ .

ويمكننا أن نقف هنا - وبشكل موجز - على آراء اللغويين والنحويين فيها من خلال دراسات طائفة من المحدثين .

فقد اخذ مصطفى صادق الرافعي على اللغويين الأوائل أنهم لم يعتنوا باللهجات وأوجه اختلافها ((الا حيث يطلبها الشاهد وتقتضيها النادرة في عرض كلامهم ، لأنهم لم يعتبروا اعتبارا تاريخيا فقد عاصروا أهلها ، واستغنوا بهذه المعاصرة عن توريث تاريخها لمن بعدهم))⁽¹⁾.

ويبرر د. ابراهيم انيس عدم اهتمام اللغويين باللهجات بعد اتساع الدولة العربية برغبتهم في التقليل من التعصب القبلي ولذلك أهمل أمر اللهجات ((ولم يرد عنها الا القليل في ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ بل ان ما روي عنها جاء مبتورا ناقصا في معظم الأحيان))⁽²⁾.

ويرى د. عبده الراجحي أن العرب لم يتوافروا على دراسة اللهجات كما يتوافر على درسها المحدثون لأن عملهم كان مرتبطا بفهم النص القرآني وما يتصل به من نصوص دينية ((أي انه كان مرتبطا باللغة الموحدة التي نزل بها القرآن الكريم ، ومن ثم كان من العبث ان يوجهوا جهودهم الى دراسة اللهجات))⁽³⁾.

اما د. محمود فهمي حجازي فيرى أن اللغويين الذين جمعوا المادة اللهجية في القرنين الأول والثاني حاولوا أن ينظروا بمعيار الخطأ والصواب الى كل الظواهر اللغوية التي عرفها عصرهم بل حددوا القبائل التي روي عنها وهم في عملهم ذلك لم يهدفوا إلى جمع الظواهر

(1) تاريخ أخلاق العرب 1/ 137.

(2) في اللهجات العربية ، ٤٧ .

(3) فقه اللغة في الكتب العربية ١١٠ .

اللهجية ودراستها ونسبتها إلى القبائل بل قصروا همهم على تسجيل بعض الظواهر التي جلبت اهتمامهم⁽¹⁾ . ويرى د. عبد الصور شاهين أن اللهجات العربية لم تدون ولم يعن بتفصيلاتها وكان الاهتمام باللغة المشتركة وتسجيل اشعار العرب سببا في اهمال اللهجات والترفع عن الاهتمام بأمرها على اهميته وما روي منها لا يمكن ان يصنع تاريخا للغة أو يصوغ فكرة متكاملة⁽²⁾ .

ووجد د. إبراهيم السامرائي ان علماء اللغة المتقدمين فقد استقرؤوا هذه الشذرات بما يتعلق باللهجات لا للعناية بها بل ارادوا ان يقولوا انها من المذموم من اللهجات بل غير المقبول من وجوه الفصاحة⁽³⁾ .

وذهب .. عبد الرحمن أيوب الى ان علماء اللغة والنحو نظروا إلى اللهجات كما لو كانت امرا مستقبحا ينبغي تجنبه واضاف : ((ومن هنا لم يكن يهمهم كثيرا أن يتحروا الدقة في نسبة لفظة ما الى قبيلة او أخرى ، بل كان همهم أن يؤكدوا انه ليس من العربية الفصحى))⁽⁴⁾ .

وهذه الآراء التي ذكرها المحدثون يمكن أن نحصرها في اتجاهين:

الاتجاه الأول : وهو الذي يتعلق بجهود اللغويين واثريهم في رواية اللهجات ثم دراستها.

الاتجاه الثاني : وهو الذي يتعلق بنظرتهم إلى اللهجات .

(1) ينظر : علم اللغة العربية ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(2) ينظر : في علم اللغة العام ٢٢٧ .

(3) ينظر : تاريخ العربية ٢٥ ، والتطور اللغوي التاريخي ٣٤ .

(4) العربية ولهجاتها ٣٤ .

ما نظرة اللغويين والنحويين الى اللهجات فقد وردت عنهم احكام متباينة⁽¹⁾ ، تلمس من خلالها انهم لم يغفلوا الخلافات بين اللهجات في المجالات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

وقد كان موقف البصريين متزما ازاء اللهجات فقد ((اسقطوا جانبا كبيرا من اللهجات العربية وعزلوها عن نطاق الاستشهاد بالفصحى من كلام العرب))⁽²⁾ .

اما الكوفيون فقد خالفوا البصريين اذ ((اعتدوا بكثير من اللهجات التي اسقطها البصريون من حسابهم لانها في نظرهم تمثل جانبا من العربية واخذوا يتبعون هذه اللهجات ويلتقطون خصائصها ويرصدون اساليب اهلها في مخاطباتهم))⁽³⁾ .

ولم يكد ينقضي القرن الرابع الهجري حتى ظهر ابن جني الذي عد كل لهجات العرب حجة ((فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء))⁽⁴⁾ .

ثالثا : القراءات القرآنية واللهجات:

هنالك بعض الروايات تشير الى ان الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم كان يجيز القراءات القرآنية المتعلقة باللهجات والعادات الكلامية التي تعود الناس عليها الا ان هذه الروايات - في حقيقة أمرها - يشوبها بعض الغموض اذ انها لم توضح لنا الآية أو الكلمة التي قد اختلفت في قراءتها ، ولا نوع ذلك الاختلاف ، وهل كان ذلك الخلاف بسبب

(1) ينظر : اللهجات العربية في التراث 196/1-199.

(2) مدرسة الكوفة ٣١٧. ينظر : اللهجات العربية في التراث ١/198.

(3) المصدر نفسه .

(4) الخصائص ، 10/2-12.

اختلاف اللهجات او لاسباب أخرى⁽¹⁾ .

و هناك نص تلمح منه رجوع القراءات القرآنية الى الصول لهجية فقد روى ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ان النبي (ص) امره الله من تيسيره أن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم فالهذلي يقرأ ((على حين)) (يريد حتى حين)) يوسف / ٣٥ ، لانه هكذا يلفظ بها الاس دي يقرأ تعلمون ((البقرة / ٢٢)) وتعلم ((البقرة / ١٠٦ ،)) وتسود وجوه ((ال عمران / ١٠٦)) بكسر التاء و ((الم اعهـد اليكم)) يس / ٦٠)) والتميمي يهمز والقرشي ((يهمز))⁽²⁾ .

ان ذلك الحديث يبعث على التأمل ، اذ لو كان هذا الحديث يفهم منه ذلك الامتداد بالقراءات القرآنية بشكل كبير، لكان ذلك مسحوبا الى عصرنا الحالي بان يقرأ الناس في قراءاتهم هم من التيسير ، وهذا لا يصح ففي الحديث معنى يرتبط بالتقيد لا الاطلاق ، ولربما الاطلاق لمن صح الأخذ بقراءاتهم.

اما ما ورد عنه (صلى الله عليه واله وسلم) في أن القرآن الكريم قد انزل على سبعة احرف فانه حديث قد اختلف في تفسيره ، فقد روى له السيوطي في كتابه الاتقان أكثر من أربعين وجها ، الا انه ((حين نظر إلى هذا الحديث في ضوء الروح الاسلامي ومنع المشقة عنهم ، فالمسلم ايا كانت لهجته ، وايا كانت بيئته ، وأيا كانت تلك الصفات الكلامية التي نشأ عليها وتعودها ولم يقدر الا عليها ، يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر

(1) ينظر : في اللهجات العربية ٥٣-٥٥

(2) القراءات القرآنية بين المستشرقين والنحاة . د. حازم سليمان الحلي ، ص ٢٢ .

مجلة ابحاث ميسان ، المجلد الاول ، العدد الثاني ، السنة 2005

الذي تعودته عضلات صوته في نطقه بلهجته أو لغته ، ويجب أن لا ننكر عليه ، أو أن نهزأ من قراءته ، فقد حاول وبذل الجهد فله أجر اجتهداه ((⁽¹⁾).

ونود ان نشير إلى أن تلك الأحرف السبعة ليس المقصود بها القراءات التي تتعلق باللهجات العربية فحسب بل انها تعنى التيسير والتسهيل حسب المفهوم العام ، أي أنها تشمل جميع لهجات المسلمين في شتى بقاع الأرض ، اذ ان لكل شعب من الشعوب صفات صوتية تميزه عن غيره من الشعوب ، ((ولعل السر في اضطراب المفسرين لهذا الحديث أنهم خلطوا بينه وبين القراءات السبع التي رواها ووضع اسمها ابن مجاهد ، فظن بعض الشراح ان الأحرف السبعة هي القراءات السبع ، وما كانت كلمة السبع في كل من الأمرين الا مجرد المصادفة ، وقد اختلف معناها في الحديث عن المعنى الذي اراده ابن مجاهد⁽²⁾ .

ويمكن ارجاع اسباب اختلاف القراءات القرآنية الى سببين مهمين هما : تعدد النزول من ضمنه المروي عن الصحابة عن النبي ((صلى الله عليه واله وسلم)) ، وسبب اخر هو تعدد اللهجات ومن ضمنه القليل فعل النبي وكثير من تقريره ((صلى اله عليه واله وسلم))⁽³⁾.

ان الصفات الصوتية التي اشتملت عليها القراءات القرآنية يمكن ارجاعها الي بعض اللهجات العربية التي ترجع الى اشهر القبائل

(1) القراءات القرآنية . ص ٥٥-٥٦ .

(2) المصدر نفسه . ٥٨ .

(3) ينظر : قراءات أهل البيت القرآنية السيد مجيب الرفيعي - دار الغدير للنشر والطباعة والتجليد قم ١ ، ٢٠٠٣ م . ص ١١ .

و اوسعها انتشارا والتي سنتعرض لها من خلال المباحث التي سنتعرض لها.

المبحث الأول المستوى الصوتي

لقد تركت لنا كتب التراث كثيرا من الروايات التي تتعلق بالخلافات اللهجية بين القبائل العربية القديمة ، وهي خلافات ترجع إلى ظواهر صوتية كالادغام والابدال والفك والترقيق والشدة والرخاوة والتسهيل والتخفيف والفتح والامالة وغيرها ، ولعل هذه الخلافات الصوتية بين اللهجات هي مسألة تتعلق بطباع تلك القبائل ((فالبدو يميلون الى اختصار الجهد العضلي، والسرعة بالنطق ، واثار الاصوات التي تكون أكثر وضوحا في السمع ، أن صحراءهم المترامية الأطراف ، قضت عليه من أن يتسامعوا من بعيد ، ولا يكون ذلك الا بالاصوات التي يبقى صدى جريها زمنا طويلا ، اما القبائل الحضرية فقد أثرت من الاصوات ما لا يحتاج إلى شدة الوضوح في السمع ، لأن عيشهم في بيوت محصورة المسافة ، لم يحوجهم إلى الأصوات العالية ، فتأنوا في كلامهم ، ولذلك مالوا الى الفك وتركوا الادغام ، وسهلوا الهمز ونبذوا التخفيف ، ورققوا ولم يضخموا ، وكسروا ولم يضموا ، ولم يراعوا الانسجام بين الحركات الا نادرا ، للابقاء على اللفظ محركا بالحركات التي ورثوها عن ابائهم الذين نطقوا باللغة الأدبية المشتركة))⁽¹⁾. وهذا لا يعني ارجاع كل اسباب الاختلاف الصوتية الى البيئة ، ولكن هو كشيء له حضور واسع هنا ، مع أسباب مهمة أخرى تبدو خلال البحث.

ولعل من صور أو ظواهر هذا المستوى :

(1) مظاهر التأثير الصوتي في اللهجات العربية ١٣٨ - ١٣٩ .

مجلة ابحاث ميسان ، المجلد الاول ، العدد الثاني ، السنة 2005

1. الفتح والإمالة:

و هما ((صوتان من اصوات اللين ، سواء كانا قصيرين او طويلين))⁽¹⁾ ، واصوات اللين تقسم على قسمين : قصيرة وطويلة ، اما القصيرة فيقصد بها الحركات (الضمة والفتحة والكسرة) ، وأما الطويلة فيقصد بها اصوات المد (الألف والواو والياء) ، والفرق بينهما - أي القصيرة والطويلة - راجع الى كمية الهواء اثناء عملية النطق بينهما من حيث المخرج⁽²⁾ .

وقد اشتهرت القبائل التي تسكن غربي الجزيرة بالفتح مثل ثقيف و هوازن وقريش وكنانة ، اما القبائل التي سكنت وسط الجزيرة وشرقيها فقد اشتهروا بالأمانة مثل طيء واسد وتميم وتغلب وبكر بن وائل⁽³⁾ .

وقراءة أهل المدينة بين الفتح والكسر ، والى الفتح القرب وذلك وارد مثلاً في سورة طه والشمس وضحاها والليل إذا يغشاها والضحى واشباهها⁽⁴⁾ .

والامالة هي أن تتحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء ، وهي احدى الظواهر الصوتية الخاصة بنطق الفتحة الطويلة نطقاً يجعلها بين الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة والأمثلة عليها في القراءات القرآنية كثيرة ومنها قوله تعالى : ((أنى صببنا الماء صباً)) (عبس ٢٥) وهذه القراءة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء وتأويلها من أي وجه صببنا الماء وهذه الظاهرة في هذا السياق من المشكل فقد جاءت

(1) في اللهجات العربية ٦٤ .

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه : ١٠ .

(4) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي - ١٧١/٩ .

من غير أن يكون الغرض من ورائها المماثلة أو الانسجام الصوتي بل جاءت مع وجود ما يمنع الامالة ذلك أن الألف والفتحة القصيرة لاتمالان اذا جاءتا قبل او بعد واحد من أصوات التفخيم ، والمعلوم أن الصادر صوت مفخم، فضلا عن أن الكسرة قريبة تجانسها هذه الامالة وهذا لا يعني أن لا تفسير لهذه الامالة ، فقد تكون ممثلا للتعيم الهابط الذي يمنع مع عدم تمام المعنى للدلالة على الحث والتدبر أو الدعوة الى الاذعان للقدرة الالهية والخضوع لسلطان الحق . فضلا عما تقدم ففي الامالة تخفيف على المتكلم وذلك بالانسجام بين الاصوات ، ولان الكسرة مصوت امامي أي أن الجزء الأمامي من اللسان يكون لدى النطق به اقرب ما يمكن من الجزء الأمامي من الحنك الصلب وتكون حجرة الرنين الفمية في اصغر حجم لها ، ويفتح الفم قليلا وتكون الشفتان مشدودتين اقصى ما يمكن لهما من الشد وتكون فتحة الفم عند النطق بهذا المصوت اصغر فتحة يمكن أن تحصل في انتاج المصوتات))⁽¹⁾ .

2. الحذف والتخفيف:

يحدث الحذف والتخفيف في الصوامت والصوائت التي تكون في بنية الكلمة ، وتميل اللهجات العربية الى تخفيف المنقل عموما ، ومن الامثلة : (تلهى ، باسكان اللام ، ويبدو أن هذه القراءة قد نتجت عن انتقال موضع النبر ، فان (تلهى) ينبر على مقطعها الثاني ، والتشكيل المقطعي لها هو:

تلهى : تلهى + هـ
ل + هـ
له + هـ

مقطع قصير مفتوح + مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مفتوح

(1) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ، د. محى فاضل الجبوري ، ص ١٢١ - ١٢٢.

ص ح

ص ح ص

ص ح ح

فعندما انتقل النبر الى المقطع الأول احتيج إلى غلق المقطع فحدث حذف المتماثل الأول والهاء الساكنة مع المقطع الثاني وانتقل التسكين إلى المقطع الأول ليكون مغلقا كما ينبىء التشكيل المقطعي الجديد (تلهى) :

ص ح ص

ص ح ح

مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مفتوح

وعلى هذا المنوال توجه قراءة : (يذكر) بالتخفيف فانتقال النبر من المقطع الثاني الى المقطع الأول صاحبه اغلاق المقطع المنبور فنتج التخفيف والاجتزاء ، ف (يذكر) تتكون مقطعيًا من : مقطع طويل مغلق مقطع طويل مغلق + مقطع قصير مفتوح + مقطع قصير مفتوح.

اما (يذكر) بالتخفيف فالتشكيل المقطعي لها هو:

مقطع طويل مغلق + مقطع قصير مفتوح + مقطع قصير مفتوح

وقراءة التخفيف ترتبط بالسياق فكان القارئ اراد معنى القلة في التذكير والنفع الذي فهمه من قوله تعالى : (لعله) ،فاجتزأ البنية وذهب بالتضعيف لانه لا يتناسب مع التقليل والاحتمال الذي فهمه وقرا على ضوء منه.

٢. الخبر والتنغيم:

وهو من الظواهر الصوتية المعروفة ومن امثله:

قال تعالى في كتابه العزيز : ((أن جاءه الاعمى)) (عبس)

قرأ زيد بن علي والحسن وابو عمران الجوني وعيسى (أن) بهمزة ومد بعدها ، وقرئ (آن) بهمزتين بينهما الف ، وقرأ ابن السميعة وابن مسعود (آن) بهمزتين مقصورتين مفتوحتين

مجلة ابحاث ميسان ، المجلد الاول ، العدد الثاني ، السنة 2005

ومن امثلة ذلك ايضا قوله تعالى : ((انا صببنا الماء صبا)) (عبس ٢٥) ، قراها الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم افضل الصلاة والسلام) (انى) يفتح الهمزة ممالا.

وهي من الظواهر الصوتية المشتركة بين اللغات المختلفة وهي عدول صوتي سياقي يعترض الطبيعة الكلامية تبعا لمقتضى الحال.

بعد الحديث عن الوظيفة الدلالية للنبر والتنغيم يكفي توطئة للدخول إلى القراءات القرآنية في محاولة لمعرفة ما اذا كان لهما حضور فيها ، ولعل هذه الدراسة فالحة باعتبار الخبر والتنغيم سمة صوتية فردية او مستوى لغويا لهجيا.

لقد حذر الباحثون من صعوبة البحث التطبيقي في هذه الظاهرة ومن ثم فكيف سيكون تلمس هاتين الظاهرتين الصوتيتين التركيبيتين أو فرق التركيبيتين وهنا يكمن التساؤل : كيف سيكون البحث في هاتين الظاهرتين اذا لم يكن تطبيقا وصفا ؟

ان توجيه القراءات القرآنية توجيهها صوتيا على ضوء النبر والتنغيم عمل ممكن عندما ينطلق هذا الدرس من أن الظواهر الصوتية التركيبية المعروفة من امالة وتخفيف وتشديد ... انما تصدر من ظاهرة صوتية فوق تركيبية دلالية هي النبر ومن ثم يسهل البحث في هذا الاتجاه عندما تبحث أصول هذه الظواهر في ظاهرة كبرى وارجاعها اليها.

قرا ابو عمرو وابن عامر والكسائي (لبت) بالادغام والباقون بالاظهار في قوله تعالى : (قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بل لبنت مائة عام)) (البقرة : ٢٥٩) وقرا اهل الحجاز والبصرة (ننشرها) بضم النون الأولى وبالراء في قوله تعالى : ((وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ

كَيْفَ نُنَشِّرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لحما)) (البقرة : ٢٥٩) ، وقرا اهل الكوفة والشام (ننشرها) بالزاي ، والنشر هنا للارتفاع^(١) .

بعد فالخلاف بين الفتح والامالة راجع الى وضع اللسان ففي الامالة يكون اللسان - في حالة النطق - اقرب الى الحنك الأعلى منه في حالة الفتح : وقد قسم القدماء الإمالة على نوعين : امالة شديدة وامالة خفيفة ، وهناك نوعان اخران ذكرهما ابن جني وهما:

أ- الكسرة المشوية بالضممة ، وهذه الامالة يسميها القدماء بالاشمام ، وهي التي تكون في صيغ البناء للمجهول ، من امثلتها : (بيع ، وقيل) وقد قرأ بهذه اللهجة هشام والكسائي في (غيص ، وحبل ، وجيء ، قيل ، وسيق ، وسيء) .

ب - الضمة المشوبة بالكسرة : وهي أقل شيوعا ومن امثلتها (بوع) بالإمالة نحو الكسرة^(٢) .

اما الانتقال من الإمالة إلى الفتح فهو امر يرجع الى ميل الانسان الى السهولة في النطق والاقتصاد في الجهد العضلي ((الا ترى ان كلمة (شيء) قد تطورت في معظم اللهجات الحديثة الى (شيء) ، ثم تطورت بعد ذلك تطورا جديدا في لهجات حديثة اخرى فاصبحت (شاء) أي بالفتح ، فقد تسمع في بعض اللهجات المصرية الحديثة من يقول ((شاء عجيب وهو يريد (شيء عجيب))^(٣) .

(١) ينظر : مجمع البيان، الطبرسي ، 368/2.

(٢) ينظر : في اللهجات العربية ، ٦٥-٦٦.

(٣) ينظر : في اللهجات العربية ٦٥-٦٦ .

4-التفخيم والترقيق:

بعد كل من التفخيم والترقيق من المظاهر الصوتية التي تتعلق بطبيعة القبائل وظروف معيشتها ، فالقبائل البدوية التي يعرف عنها خشونة العيش فانها كانت تميل الى تفخيم الأصوات ، اما القبائل الحضرية فقد كانوا يعيشون حياة ترف ورقة ولذلك مالوا إلى ترقيق الأصوات⁽¹⁾ . ومن امثلته:-

أ- الصاد والسين:

لقد روت لنا المصادر ان قبيلة بني العنبر - وهي قبيلة تميمية كانوا يقلبون السين صادًا في كل سين تاتي في المقدمة ثم يأتي بعدها صوت كاف او طاء او خاء او غين ، فيقولون : (صلح) في (سلخ) و (صالح) في (سالغ) و (صراط) في (سراط) ، والصاق (في (الساق) كما حكي عن تميم أنهم يقولون : صحخين بحدة صوته ، والأصل سحخين بالسين⁽²⁾ .

ب - الطاء والتاء:

تذكر لنا المصادر أن قبيلة تميم البدوية كانوا يقلبون التاء طاء في مواضع معينة ، وقد يكون هذا الابدال في مواضع لم يسبق صوت التاء احد اصوات الاطباق : ((فمن هذا قولهم في افلنتي (افلطني) وفي المصدر (افلانا) (افلاطا) . ويكون اذا جاءت التاء بعد حرف من حروف الأطباق فمنه قولهم : فحسط برجلك ، وحسط اي

(1) ينظر : مظاهر التأثير الصوني في اللهجات العربية ١٤٢ .

(2) المصدر نفسه .

فحصت برجلك وحصت ، فقد جاورا بالطاء وهو حرف اطلاق ليتجانس مع الصاد والمبرر الصوتي للقلب في كلتا الحالتين عند تميم هو التخفيف واختصار الجهد العضلي⁽¹⁾ .

ج - القاف والكاف:

تذكر هنا المعاجم أن القبائل التي تسكن شرقي الجزيرة ووسطها ، وهي قبائل بدوية ، كتميم وغيرها كانوا يميلون الى النطق بالقاف ، اما القبائل غير الجزيرة - وهي بيئة حضرية - فانهم كانوا يميلون إلى النطق بالكاف ، والفرق بين الصوتين أن صوت القاف شديد مفخم في حين أن صوت الكاف رخو غير مفخم .
ورود في المخصص ، كشطت عن جلده وقشطت قال ابو عبيدة أو قريش تقول : كشطت ، وبنو تميم واسد وقيس وتقول قشطت)) فهذه الرواية تكشف لنا الفرق في النطق بين بينتين بدوية وحضرية ، ولهذا نجد أن الرواة القدماء قد فطنوا الى ما دعا اليه المحدثون في التفرقة بين الكلمات التي تروى بروايتين فهناك الفاظ لها نطقان في عصر صدر الاسلام وقبله ، وقد اختصت كل بيئة بواحد منها وهكذا نجد أن النطق بها موجود في زمان واحد باختلاف البيئة⁽²⁾ .

5- الهمز:

تذكر لنا الروايات أن الهمز من خصائص النطق في قبيلة تميم ، في حين أن قريش كانوا لا يحققون الهمزة بل يتخلصون منها بتسهيلها أو حذفها أو مدها وهناك بعض الروايات تشير إلى أن بعضا من قبيلة تميم كانوا يقلبون الهمزة الساكنة الى صوت لين من جنس حركة ما قبلها ، ولهذا لا يمكن نسبة الهمز الى بيئة معينة وتذكر لنا كتب القراءات

(1) المصدر السابق : ١٤٣ .

(2) ينظر المصدر نفسه ١٤٣ .

القرآنية أن من القراء من تخلص من الهمز كابي جعفر ونافع من رواية ورش لانهما من قراء المدينة ، في حين ان ابن كثير كان يميل إلى تحقيق الهمز وهو مكي⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن الهمز هو من خصائص النطق في قبيلة تميم ، وان القبائل الحجازية كانت تميل إلى التسهيل الا انهم كانوا يهزمون في حال استعمال اللغة النموذجية الأدبية، ويعودون إلى التسهيل في كلامهم العام ((أما في ما يتعلق بكيفية تخلص لهجات الحجاز من الهمز فيتضح مما روي عن قراءة أبي جعفر ونافع التي يمكن ان تلخص فيما يأتي:-

(أ) اذا سكنت الهمزة وتحرك ما قبلها قلبت حرف من مناسب لتلك الحركة مثل : (يؤمنون ، بنس ، فاذنوا) قرئت على الترتيب : (يؤمنون ، بيس ، فاذنوا) .

(ب) الهمزة المتحركة وقبلها متحرك لها الأحوال الآتية:-

(-) ان تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضم فغلب في هذه الحالة أن تبدل الهمزة واوا مثل : (يؤاخذ ، الفؤاد ، هزوا) قرئت على الترتيب (يواخذ ، الفواد ، هزوا) .

(-) أن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها مكسور ، وحينئذ تبدل الهمزة ياء مثل : (رياء الناس ، خاسنا) قرنتا على الترتيب : (رياء الناس ، خاسيا) .

(-) ان تكون الهمزة مضمومة وقبلها كسر وبعدها واو ، وحينئذ تحذف الهمزة ويضم ما قبلها ليناسب الواو مثل : (مستهزون) قرنت (مستهزون) .

(1) ينظر : في اللهجات العربية ٧٥-٧٦ .

(-) ان تكون مضمومة وقبلها فتح ، حينئذ تحذف الهمزة مثل : (ولا يطئون) قرئت (ولا يطون).

(٣) ان تكون مكسورة بعد كسر ، حينئذ تحذف الهمزة مثل : (متكئين) قرئت (متكين) .

(-) ان تكون الهمزة مفتوحة بعد فتح ، وحينئذ تسهل الهمزة بين بين مثل : (أرأيتم) .

ج-الهمزة المتحركة : وسكن ما قبلها ، تنقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها ، وتحذف الهمزة سواء كان هذا في كلمة واحدة أو كلمتين مثل : (والأخرى) قرئت (ولخرى) ، (من اله) قرئت (من له) وقد اشتهرت هذه القراءة عن ورش القاريء المصري الذي تعلم في المدينة ((⁽¹⁾).

وفضلا عما تقدم في موضوع الهمز وخصائصه ، فان الهمز هو الخاصة الواضحة في نطق اهل البدواة ، ومع ما موجود من خصائصه في نطق اهل الحضارة⁽²⁾ .

المبحث الثاني المستوى الصرفي

ستعرض في هذا المبحث طائفة من القراءات القرآنية التي خالفت رسم المصحف مع نسبة القراءات فضلا عن ذكر بعض اسباب الخلاف كأن تكون اسبابا لهجية منسوبة لبعض القبائل أو تكون اسبابا صرفية بحته وارااء العلماء والباحثين في بعض المسائل الصرفية التي تضمنتها تلك القراءات ، وقد اعتمدنا في هذا المبحث القراءات - مادة البحث - ذات الاختلاف الصرفي فقط أي التي لم تخالف قراءة المصحف بتغيير في

(1) في اللهجات العربية ٧٩-٨٠ .

(2) ينظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د. عبد الصبور شاهين ، ص ٣٦ .

مجلة ابحاث ميسان ، المجلد الاول ، العدد الثاني ، السنة 2005

الدلالة نتيجة التغير الصرفي - كما يرد ذلك في بعض القراءات القرآنية التي استبعدت في هذا البحث .

وقد تنوعت تلك القراءات بحسب اختلافها الصرفي ، فمنها ما يكون اختلافه حركيا ، أي انها اختلفت عن قراءة المصحف بحركة كالكسر أو الضم أو التسكين الى غير ذلك ، ومنه ما كان اختلافه حرفيا كان يحذف حرف او يزداد أو يقلب أو يبدل.

1. الممنوع من الصرف لالف التانيث الممدودة:

ولعل من الاسماء التي وردت في القرآن الكريم وقد منعت من الصرف لألف التانيث الممدودة كلمة (سيناء) في قوله تعالى : وشجرة تخرج من طور سيناء (المؤمنون ٢٠) فقد اختلف القراء في سينها فمنهم من فتحها ومنهم من كسرهما ((فقرأ ابن كثير ونافع وابو عمر (سيناء) مكسورة السين ممدودة ، وقرأ عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي (سيناء) مفتوحة السين ممدودة))⁽¹⁾ ، وقال ابو حيان : وقرأ الحرميان ، والحسن بكسر السين ، وهي لغة لبني كنانة ، وقرأ عمر بن الخطاب وباقي السبعة بالفتح وهي لغة سائر العرب))⁽²⁾ .

2. تسكين المتحرك:

وذلك كقراءة ابي السمال: ((غُلْتُ أَيْدِيَهُمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا)) (المائدة: ٦٤)، بتسكين العين في (لعنوا)⁽³⁾ ، وقد ذكروا علماء النحو والصرف هذه الظاهرة وتدارسوها في كتبهم ، فهذا سيبيويه يعقد لها بابا في كتابه سماه : ((باب ما يسكن استخفافا وهو في الاصل

(1) السبعة ٤٤٤ - ٤٤٥ - وينظر : الكتاب الوجيز ٣٩٥ ، والنشر 328/2.

(2) البحر 401/2 - الحرميان : (نافع وابن كثير) .

(3) ينظر : تفسير البحر المحيط 523/3.

متحرك)) وقد نسب هذه الظاهرة الى بكر بن وائل وكثير من تميم⁽¹⁾.

3.الاشمام واخلاص الكسر:

قال تعالى : ((واذا قيل لهم ... (البقرة / ١١) . (قرأ علي بن حمزة الكسائي : قيل) و (غيض) (هود / ٤٤) و (سيء) (هود ٧٧ ، العنكبوت (٣٣) (و سيئت) (الملك (٢٧) و (حيل) (سبأ ٥٤) و (سيق) (الزمر (٧٣ ، ٧١) و (جيء) (الزمر ٢٩ ، الفجر (٢٣) بضم اول ذلك كله) أي بالاشمام) ، وكان نافع يضم اول (سيق ، وسيء ، وسينت ، وحيل) ويكسر (غيض ، وجايء ، وقيل) في كل القرآن ... وكان ابن كثير وعاصم وابو عمر وحمزة يكسرون أوائل هذه الحروف كلها))⁽²⁾.

ويقول النحاس : ((مذهب الكسائي اشمام القاف الضم))⁽³⁾ ، في قبل ، اما ابن ذكوان فقد قرا وحده (حيل ، سيق ، سيء ، سينت) هذه الافعال دون غيرها بالاشمام⁽⁴⁾ ، وقيل ان نافعا وابن عامر والكسائي قد فروا (سيء بهم) و (سيئت) واشباه هذين الفعلين بالاشمام والباقون باخلاص الكسر⁽⁵⁾ .

ويقول الطوسي : ((رام بضم القاف فيها (أي في قيل) وفي اخواتها الكسائي وهشام ورويس ووافقهم ابن ذكوان في السين والحاء

(1) ينظر: الكتاب ، 113/4 .

(2) السبعة في القراءات ١٤١-١:٢ .

(3) اعراب القرآن 138/1 .

(4) ينظر : التبصرة في القراءات ١٤٦-١٩٧ . والبحر المحيط . 61/1 .

(5) ينظر : التيسير في القراءات السبع ١٢٥ .

مثل : (حيل ، وسيق ، وسينت ، وافقهم أهل المدينة في (سيق ، وسيئت)⁽¹⁾ .

نستخلص من هذا أن في (قيل واشباهها) لغتين وردت الأولى في القرآن وهي اخلاص الكسر ، ووردت الثانية في القراءات القرآنية وهي الاشمام أي اشمام الكسر الضم.

وقد نسبت اللغة الأولى وهي اخلاص الكسر - التي تعد هي الأفصح كما يقولون إلى قریش ومن جاورهم من بني كنانة⁽²⁾، وتخرج هذه اللغة مذكور في اغلب كتب النحو والصرف ، اما اللغة الثانية وهي الاشمام (النطق بقاء الفعل بين الضمة والكسرة) - الذي لا يضبط الا بالمشافهة كما يقول الزجاجي⁽³⁾ ، فقد ذكرها سيبويه لكنه لم ينسبها لأحد بل اكتفى بنسبتها الى (بعض العرب)⁽⁴⁾ ، ولم يحدد اسم بالاسم ، وذكر النحاس انها لغة كثير من قيس⁽⁵⁾ ، ونسبها أبو حيان الى قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني اسد⁽⁶⁾ .

وتخرج هذه اللغة يعلله سيبويه بقوله : ((اراد ان يبين انها فعل))⁽⁷⁾ ، أي أن الفعل يقرأ بالاشمام للدلالة على انه مبني للمجهول ، أي

(1) التبيان في تفسير القرآن ١/٧٤ ، وينظر : النشر في القراءات العشر 2/208.

(2) ينظر : البحر المحيط ١/٦٠ ، والارتشاف 2/195.

(3) ينظر : الجمل ٢٦.

(4) ينظر : الكتاب 4/342.

(5) ينظر : اعراب القرآن ١/١٣٨ ، وتفسير القرطبي 1/201.

(6) المصدر نفسه .

(7) الكتاب ٤/٣٤٢ ، وينظر : اعراب النحاس 1/138.

بارجاع الفعل إلى اصله لان اصل (قبل) هو (قول)⁽¹⁾ ، ولا يغيب عن اذهاننا أن هذه الدلالة هي السامع.

4-صيغة منتهى الجموع :

اختلف القراء السبعة في القراءة في قوله تعالى : ((قواريرا)) (الانسان / ١٥-١٦) بتتوين وبغير تتوين ، فقد قرأ عاصم ونافع والكسائي قواريراً قواريراً)) منونة ، وقرأ حمزة وابن عامر (قواريرا * قواريرا)) (بغير تتوين ، ووقف حمزة بغير ألف فيها ، وقرأ ابن كثير ((كانت قواريرا)) منونة ((قواريرا من فضة)) غير مئونة ، وقرأ ابو عمرو ((كانت قواريرا)) غير متونة ووقف بالـف (قواريرا من فضة)) غير منون⁽²⁾ .

ونذكر القراء انه راها في مصحف عبد الله باثبات الألف الأولى وحذفها من الثانية ، وعلى ذلك بان ((الألف في الأولى لأنها رأس اية والأخرى ليست باية واهل الكوفة والمدينة يثبتون الألف فيهما جميعا))⁽³⁾

وهناك جوانب صرفية أخرى لوحظت في كثير من القراءات القرآنية ولعل من أبرزها :

قرأ اهل المدينة والشام (من ثمرات) على الجمع في قوله تعالى ((إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ

(1) ينظر : المصدر نفسه ٤/٣٤٢ ، والجمال ٧٦ ، والحجة في القراءات السبع ٦٩ ، ومشكل اعراب القرآن ٧٨/١ .

(2) السبعة ٦٦٣-٦٦٤ .

(3) معاني القراء 214\3 .

أنثى ولا تضع إلا بعلمه (السجدة : ٤٨) وغيرهم على الافراد (من ثمرة)^(١) ، ودلالة الجمع على الكثرة أكثر مما لو دل الافراد.

قرا اهل الكوفة (الجواري) في قوله تعالى : ((ومن آياته الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَام)) (الشورى: ٣٢) ، بحذف الياء في الوصل والوقف وهذا لكثرتة في كلامهم هنا كالقياس عندهم^(٢).

وقرا اهل الكوفة (احسانا) والباقون (حسنا) في قوله تعالى ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا)) (الاحقاف/ ١٥) وهنا دلالة على انه مصدر وهو منصوب وهنا احسان دون اساءة ، اما (حسنا) فمعناه ليات في امرهما امرا ذا حسن أي الحسن دون القبح^(٣) .

كذلك قرا اهل الحجاز (كرها) بفتح الكاف دلالة على أنه مصدر بخلاف لو كانت الكاف مضمومة فهو دلالة على انه اسم وهو كالشيء المكروه^(٤) .

قرا اهل الكوفة كلمة (اسرارهم) بالكسرة في قوله تعالى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ) (محمد / ٢٦) فالكلمة هنا مصدر افرد ولم يجمع ودلالة الافراد تستمد قوة دلالتها من دلالة (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ)^(٥) .

قرا اهل الكوفة (بموقع النجوم) بغير الف في قوله تعالى ((فلا أقسم بمواقع النجوم)) (الواقعة / ٧٥) وهنا الافراد على هذه القراءة دلالة

(١) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي ١٧/٩ .

(٢) المصدر نفسه ٣١/٩ .

(٣) المصدر نفسه ٨٥-٨٤/٩ .

(٤) المصدر نفسه ٨٥-٨٤/٩ .

(٥) المصدر نفسه ١٠٥/٩ .

على ان (موقع) اسم جنس ولو اختلفت اسماء الاجناس جاز جمعها كما في (مواقع)⁽¹⁾ .

قرا اهل المدينة والكوفة (تحبون) (وتذرون) بالتاء والباقون بالياء في قوله تعالى ((كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ)) .

(القيامة / ٢٠-٢١) ، ودلالة القراءة بالتاء فذلك على معنى (قل لهم بل تحبون تذرون) والقراءة بالياء بمعنى (هم يحبون ويذرون)⁽²⁾

قرا اهل الكوفة لفظة (الوتر) بكسر الواو في قوله تعالى ((وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ)) (الفجر : ٤) وذلك وارد في لهجة قبيلتي (قيس وتميم)⁽³⁾ .

المبحث الثالث المستوى النحوي

لعل من أهم صوره الواضحة هنا في مجال البحث الاعراب :

من المعروف في اللغة العربية ان الاعراب ظاهرة قديمة في اللغات السامية كالحبشية والاكديّة والعربية⁽⁴⁾ ، ففي اللغة الاكديّة على سبيل المثال - وجدت الحركات الاعرابية الثلاث ، ثم تطورت هذه الحركات الى حركتين فقط وهما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجر ، ثم تطورت فاصبحت حركة واحدة وهي حركة الكسرة الممالّة⁽⁵⁾ كما وجدت حركات الاعراب الثلاث في اللغة البابلية القديمة ثم

(1) المصدر نفسه 224/9-225.

(2) ينظر : مجمع البيان، الطبرسي ، 396/10 .

(3) المصدر نفسه ، ٤٨٢/١٠ .

(4) ينظر : التطور النحوي ٧٥.

(5) ينظر : علم اللغة العربية ١٤٤ .

اندثرت بمرور الزمن⁽¹⁾ ، كما دلت النقوش التي عثر عليها ان الحركات الاعرابية الثلاث وجدت في اللغة النبطية الا انها خلت من التتوين، وما تزال اثار الاعراب موجودة في بعض اللغات القديمة كالارامية والحبشية والاشورية⁽²⁾ ، كما اثبت الدكتور رمضان عبد التواب من خلال اعتماده على تحليل طائفة من فقرات قانون حمورابي ان الاعراب كان موجودا في اللغة الاكادية⁽³⁾.

اما الاعراب في اللغة العربية فهو ظاهرة اساسية فيها وما زالت اللغة العربية تحتفظ بهذه الظاهرة بخلاف اللغات السامية الأخرى ، قال يوهان فك بهذا الصدد ((لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الاعرابي بسمه من اقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية))⁽⁴⁾ .

ومن صوره المهمة اعراب (حيث) :

اختلفت اللهجات العربية في (حيث) فالمشهور عنها انها تبنى على الضم وهو الوجه الذي تقبله النحاة وعدوا ما سوى ذلك شاذا لا يقاس عليه⁽⁵⁾ اما الأوجه الأخرى في (حيث) فقد نقل الكسائي عن بني يربوع وطهية من تميم بناءها على الفتح⁽⁶⁾ وذكر أيضا أن من العرب من بناها

(1) ينظر : فقه اللغات السامية ١٠٢ والعربية . ٣ .

(2) المصدر نفسه ١٠١-١٠٢ ، وتاريخ اللغات السامية ١٥ .

(3) ينظر : فصول في فقه اللغة العربية ٣٨٢ - ٣٨٤ .

(4) العربية ٧ .

(5) العين 285\3 (حيث) .

(6) ينظر : اللسان 140/2 (حيث) .

على الكسر في كل حال⁽¹⁾ ، ونقل عن بني الحارث بن ثعلبة وبني فقعس من است انهم يعربون (حيث) فقال : ((سمعت في بني اسد بن الحارث بن ثعلبة وفي بني فقعس كلها يخففونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب فيقولون : من حيث لا يعلمون وكان ذلك حيث التقينا))⁽²⁾ . وفي قوله تعالى : ((سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)) تقرأ بالضم والفتح⁽³⁾ .

وقد ابدلت لهجت تميم⁽⁴⁾، وطيء⁽⁵⁾، ياءها واوا فجاء فيهما (حوث) وهو ضرب من المعاقبة بين الياء والواو .

2-الادغام في (مع) الظرفية :

ذكر سيبويه في باب الادغام انك اذا اردت الادغام حولت العين حاء ثم ادغمت الهاء فيها ، فصارتا حاءين ، والبيان احسن، مما قالت العرب تصديقا لهذا في الادغام قول بني تميم(مم) يريدون (معهم)، و(محاولاء) يريدون (مع هؤلاء) . وذكر ابن مالك ان تسكين عين (مع) قبل حركة وكسرها قبل سكون لغة ربيعة ، وقال الكسائي انها لغة ربيعة وغنم في حالة تسكين عينها قبل حركة ، وجاءت مسكنة العين في كلام العرب الفصيح ولكنها اذا اسكنت فالافصح انها اسم⁽⁶⁾ .

والفتح في (مع) لغة عامة العرب والكسر لغة ربيعة وقرا الجمهور ((انا معكم انما نحن مستهزئون)) (البقرة / ١٤) بتحريك

(1) ينظر : شرح المفصل 91/4 .

(2) المحكم 332/3 .

(3) ينظر : جوانب من الفوارق اللهجية في النحو والقراءات ١١٥ .

(4) ينظر : العين 285/3 .

(5) ينظر : الارتشاف ١٨٧ .

(6) جوانب من الفوارق اللهجية في النحو والقراءات ١٠٩

العين وقرئ في الشاذ تسكين العين وقراءة التسكين لا يمكن عدها شاذة لهجيا ما دامت هناك لهجة فصيحة تجوز مثل هذه القراءة ، فالشاذ الحقيقي ما خرج عن فصيح لغة العرب ولا يقوم دليل على ان ربيعة غير فصيحة ولا يعتد بلهجتها⁽¹⁾ .

3-الاثبات والحذف في ضمير الغائب المتصل :

الاثبات والحذف في مثل هذا الضمير كثير ، فالاثبات مثل ضربهو زيد ولديهي مال ، مررت بدارهي ، وهو ما يقال في العروض الترتم ، قال سيبويه : ((واحسن القراءتين ((وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا)) (الاسراء / ١٠٦) ، وان ((تحمل عَلَيْهِ يُلْهَثْ)) (الأعراف / ١٧٦) و (يوسف / ٢٠) ، و ((حُدُوهُ فَعْلُوهُ)) (الحاقة ٣٠) ، والاتمام عربي⁽²⁾. فسيبويه يفضل حذف الواو والياء على اثباتها ، قال : ((واذا كانت الواو والياء بعد الميم التي هي علامة الاضمار كنت بالخيار ان شئت حذفته وان شئت اثبتته ، فان حذفته اسكنت الميم مثل عليكمو ، وانتمو ذاهبون ، ولديهي مال ، فاثبتوا كما ثبت في التنثية اذا قلت : عليكما ، وانتما ولديهما ، واما الحذف والاسكان فقولهم : عليكم مال ، وانتم ذاهبون ، ولديهم مال ، كما كثر استعمالهم هذا في الكلام ، واجتمعت الضماتان مع الواو ، والكسرتان مع الياء ، والكسرات مع الياء نحو بهى داء ، والواو مع الضمتين والواو نحو: ابوهمو ذاهب ،

(1) المصدر نفسه.

(2) الكتاب ٢: 291.

والضمات مع الواو نحو : (رسلهمو بالبينات) حذفوا كما حذفوا من الهاء⁽¹⁾ .

وفضلا عما تقدم ، فهناك لمحات للقراءات القرآنية في هذا البحث منها :

قرا (حمزة) (عليهم) بضم الهاء في قوله تعالى (صراط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (الفاتحة) وذلك رد لاصل حرف الهاء ولو انفرد عن حرف الجر (على) وهي قراءة قديمة ولغة قريش واهل الحجاز ومن حولهم فصحاء اليمن ، وقد قرا الباكون (عليهم) بكسر الهاء⁽²⁾ .

قرا ابن عامر واهل الكوفة غير عاصم (فنعمما هي) بفتح النون في قوله تعالى ((إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنَعْمَا هِيَ)) (البقرة / ٢٧١) ، وقرا اهل المدينة بكسر النون وسكون العين⁽³⁾ .

قرا اهل الكوفة لفظة (المجيد) بالجر في قوله تعالى : ((ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ)) (البروج / ١٥) ، والجر دال هنا على ان لفظة (المجيد) صفة للفظة (ربك) في قوله تعالى : ((إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)) (البروج / ١٢) ، أو صفة للفظة (العرش) المضافة بـ (ذو)⁽⁴⁾ .

قرا اهل المدينة (يعلم الذين يجادلون) بالرفع في قوله تعالى ((وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ محيص)) (الشورى / ٣٥) ،

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي ٢٨/١ .

(٣) ينظر : مجمع البيان. الطبرسي ٣٨٣/٢٠ .

(٤) المصدر نفسه : 464/10 .

وذلك دلالة على الاستئناف لانه موضع استئناف من حيث موقعه هذا ولو شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف⁽¹⁾.

المبحث الرابع المستوى الدلالي

الدلالة هي علاقة اللفظ بالمعنى ، فدلالة الألفاظ معانيها التي ينصرف إليها الذهن⁽²⁾ ، وعلم الدلالة احد فروع علم اللغة واليه تنتهي الدراسات اللغوية بمختلف مجالاتها⁽³⁾ ، ولم يقتصر البحث فيه على اللغويين وحدهم بل نظر فيه علماء ومفكرون في ميادين مختلفة فشارك فيه الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والمناطق وغيرهم مما ادى الى ظهور نظريات مختلفة تتعلق بدراسة المعنى والكشف عن ماهيته⁽⁴⁾ .

وكان للغويين القدامى اسهام في هذا المجال غير انه لا يتناسب واهتمامهم بجمع المادة اللغوية من مختلف القبائل دون تخصيص دلالة الألفاظ في هذه القبيلة أو تلك الا ما ندر⁽⁵⁾ ، وبذلك فقد ضاعت من الباحثين في اللهجات امكانية معرفة دلالة الألفاظ وسبل استعمالها ومدى التطور الدلالي الذي حدث فيها .

وقد وجد المحدثون أن كل لغة تسير في تطورها الدلالي على هدى خطوط عامة اطلقوا عليها (قوانين المعنى) كتخصيص العام وتعميم الخاص وتغير مجال الدلالة وغيرها الا ان هذه القوانين ما تزال

(1) المصدر نفسه : ٣١/٩ .

(2) ينظر : الاضداد في اللغة ٥٥ .

(3) ينظر : علم اللغة (السعران) : ٢٨٥ .

(4) ينظر : المصدر نفسه ٢٨٦ .

(5) ينظر : فصول في فقه اللغة ٢٨٦ ، والتطور اللغوي ٦٠ .

بحاجة الى بلورة أكثر ومزيد من البراهين الواقعية التي تسهم في صحتها واطرادها⁽¹⁾ . ومن ملامحه المهمة في هذا البحث ما يأتي :-

1. الترادف :

الترادف هو ((انصراف لفظتين أو طائفة من الألفاظ الى معنى واحد او مسمى واحد))⁽²⁾، مثل لفظة (العسق) عند بني اسد يرادف العرجون الرديء⁽³⁾ ، وهو ضرب من الكماة رديء⁽⁴⁾ ، وقد ورد في القرآن الكريم بمعنى اصل العذق ، قال تعالى : ((وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)) (يس / ٣٩) ، وقال ثعلب : ((العرجون كالفطر يبيس وهو مستدير))⁽⁵⁾ .

كذلك لفظة (الرج) بمعنى الرعد ، وقال الأزهري ايضا : ((وقرات بخط ابي الهيثم لابن برزخ حكاة عن الاسدي ، قال : يقولون للرعد : رج))⁽⁶⁾ ، وجاء في اللسان ايضا ان الرجع تعني المطر⁽⁷⁾ وبذلك فسر قوله تعالى : ((وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)) (الطارق / ١١) .

وفي القرآن الكريم نجد بعضا من الترادف مثل :

1. ((تالله لقد اثرك الله علينا)) (يوسف : ٩١) : واني فضلتكم على العالمين (البقرة ٤٧ ، ١٢٢)

(1) ينظر : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ٣٥٩ .

(2) الصاحبى ٩٦ - وينظر : المزهري ١/٤٠٢ ، وفصول في فقه اللغة ٣٠٩ ، والاضداد في اللغة ٤٠ والترادف في اللغة ٣٢ .

(3) ينظر : المحكم ، ١/٨٥ ، واللسان ١٠/٢٥١ (عسق) .

(4) ينظر : اللسان ١٣٠/٢٨٤ (عرجن) .

(5) اللسان ١٣/٢٨٤ (عرجن) .

(6) التهذيب ١/٣٦٤ (رج) واللسان ١٢١/٨ (رج) .

(7) ينظر : اللسان . ١٢٠/٨ (رج) .

2. ((حتى اذا حضر أحدهم الموت)) (النساء / ١٨) :

حتى اذا جاء احدكم الموت .

(الأنعام/61)

3. ((بعث فيهم رسولا)) (ال عمكران / ١٦٤) :

فارسلنا فيهم رسولا (المؤمنون / ١٣٢)

4. ((البلد)) (البلد / ١) : القرية (البقرة / ٥٨) .

5. ((ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين)) (ال عمران / ١٥١) : فان الجحيم هي الماوى (النازعات : ٣٩) .

6. ((فلا تأس على القوم الكافرين)) (المائدة / ٦٨) : ولاتحزن عليهم (النحل : ١٢٧) .

7. ((واقسموا بالله جهد ايمانهم)) (الانعام / ١٠٩) : ثم جاءوك يحلفون بالله (النساء / ٦٢)

8. ((فتوبوا إلى بارئكم)) (البقرة / ٥٤ : قل الله خالق كل شيء)⁽¹⁾ (الرعد / ١٦) .

2. المشترك اللفظي :

المشترك اللفظي هو ان تكون للكلمة صورة واحدة ولكنها تعبر عن معان مختلفة⁽¹⁾، ومن امثلته لفظة (الحوب) اذ ان دلالة هذا اللفظ في العربية الفصحى تعني الاثم وقد فسر الفراء قوله تعالى : ((إِنَّهُ كَانَ

(1) ينظر : في اللهجات العربية ١٨٠ .

خوبا كبيرا)) ، (النساء / ٢) ، بان الحوب هو الاثم العظيم⁽²⁾. وقد تخصص معنى اللفظة في لهجة اسد تقول على القاتل فقط⁽³⁾ .

كذلك لفظة (الفوم) اذ ان من المعاني التي تدل عليها هذه اللفظة الزرع أو الحنطة أو الحمص أو الخبز⁽⁴⁾ ، وقال قطرب : ((الفوم : كل عقدة في البصل وكل قطعة عظيمة في اللحم وكل لقمة كبيرة))⁽⁵⁾ ، واختلف اللغويون في تفسير قوله تعالى : ((وقومها وعدسها وبصلها)) (البقرة / ٦١) ، فالقوم عند المبرد الحنطة وعند الفراء الحنطة والخبز جميعا ، وعند ابن قتيبة والزجاج هي الحبوب التي تؤكل ، وعند ابن دريد وابي عبيدة هي السنبلة⁽⁶⁾.

ومن الألفاظ الأخرى ايضا لفظة (الامة) ولها عدة دلالات منها ما تحمل اشتراكا لفظيا .

3.الأضداد :

من التضاد مجيء الامة (جماعة من الناس) في قوله تعالى : ((وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ)) ، (القصص / ٢٣) ، والامة : الامام من قوله تعالى : ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً)) (النحل / ١٢٠) ، فكلمة الامام بهذه الدلالة على الفرد وليس بجماعة انما جاءت على سبيل الاستعارة والذي حدد هذه الدلالة هو السياق الذي وردت فيه

(1) المصدر نفسه : ١٩٢ .

(2) ينظر : معاني القرآن 253/1 .

(3) ينظر : المصدر نفسه .

(4) ينظر : اللسان 460/12 .

(5) البحر 219/1 .

(6) المصدر نفسه .

ولفظه (البحر) فهو الماء المالح والعذب قال جل شأنه : ((مرج بَحْرَيْنِ يلتقيان) ،

(الرحمن / ١٩) ، وهو العذب والمالح .

ولفظه (البين) فاحيانا تأتي بمعنى الوصل وحيانا البعد والفراق مصدر بان يبين بينا ، قال تعالى : ((لَقَدْ

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)) (الأنعام / ٩٤)، أي وصلكم / الطائفة تأتي واحدا وتأتي جمعا ، قال تعالى : ((وَلَيْشَهِدَ

عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)) (النور / ٢) ، يقول ابن عباس الطائفة هنا الرجل الواحد .

الخاتمة

لقد تم التوصل في هذا البحث الى جملة من النتائج نوجزها بما يأتي :-

1. لقد كان للغويين والنحويين مواقف من اللهجات العربية يمكن حصرها في اتجاهين هما :-

أ- الأول يتمثل بجهود اللغويين واثروهم في رواية اللهجات و دراستها .

ب- والثاني يتمثل بنظرتهم الى اللهجات.

2. ان الخلاف في القراءات القرآنية والذي يرجع في اهم اسبابه الى اللهجات المختلفة للقبائل العربية مسألة

قديمة وقد اجازها الرسول (ص) وقد وصلت الينا بعض الروايات حول هذا الموضوع وان كان

بعضها يشوبها الغموض وعدم الدقة مع العلم أن تلك الاجازة مقيدة وليست مطلقة .

ان الخلاف بين القراءات فيما يتعلق بالمستوى الصوتي راجع في كثير منه الى طبيعة وخصائص النطق للقبائل البدوية تميل إلى التسهيل و اختصار الجهد العضلي واستعمال الاصوات الواضحة في السمع ، اما القبائل الحضرية فقد أثرت الأصوات الشديدة الوضوح ، وكانوا في الكلام ومالوا الى التدقيق وما الى ذلك ، ولعل من أبرز مظاهر هذا المستوى :

أ- الفتح والامالة ، وقد اشتهرت قبائل غربي الجزيرة بالفتح ، اما القبائل وسط الجزيرة وشرقيها فقد اشتهرت بالامالة

ب التفخيم والترقيق : وقد مالت القبائل البدوية إلى تفخيم الاصوات بسبب خشونة الحياة ، في حين مالت القبائل الحضرية الى الترقيق بسبب حياة الترف والركة .

ج - الهمز : وهو من خصائص النطق لقبيلة تميم ، وكانت قريش تميل الى التسهيل ، الا ان قريشا والقبائل الحجازية كانوا يهمزون في اللغة الأدبية الانموذجية .

4. لقد وردت بعض الخلافات في القراءات القرآنية التي تتعلق بالمستوى الصرفي فمنها ما يكون اختلافه حركيا ، أي انها اختلفت عن قراءة المصحف بحركة كالكسر ، او الضمة ، أو التسكين الى غير ذلك ، ومنه ما كان اختلافا حرفيا ، كان يحذف حرف او يزداد او يقلب او يبدل ، وكل هذه الأمور تتعلق باختلاف اللهجات العربية .

5. أما فيما يتعلق بالجانب النحوي فقد وردت خلافات في القراءات القرآنية كمخالفة بناء

(حيث) على الضم ، وادغام (مع) الظرفية مع الهاء ، والاثبات والحذف في ضمير الغائب المتصل وغيرها ، وكلها تتعلق باختلاف اللهجات للقبائل العربية .

6. أما المستوى الدلالي فان اللغات جميعها في تطور مستمر ومنها اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم ، وقد كان لهذا التطور مظاهر متعددة كالتضاد والترادف والمشارك اللفظي ، وقد وردت بعض الجوانب الخلافية في القراءات القرآنية التي تتعلق بهذا الجانب والتي تتعلق بالجوانب اللهجية ايضا .

ان ما تقدم من نتائج هي من ثمرات البحث والسعي للوصول الى الجديد من النتائج ، والاثبات لمن سبقنا الرأي في موضوع أو نقطة ما في هذا الشأن .

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

-ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الاندلسي (٧٥٤ هـ) نسخته مصورة عن الأصل المخطوط بالمكتبة الاحمدية بحلب تحت رقم ٨٩٩.

-الاضداد في اللغة ، محمد حسين ال ياسين ، طا ، مط المعارف ، بغداد ١٩٧٤ .

-اعراب القرآن ، لابي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (٣٣٨هـ) تح ، د. زهير غازي زاهد ، مط العاني ، بغداد ١٩٧٩ .

- البحر المحيط ، لأبي حيان الاندلسي ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض اوفسيت (د.ت) .
- تاريخ ادب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، ط؛ الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٤ ، دار
- تاريخ العربية د. ابراهيم السامرائي ، المركز الثقافي في جامعة الموصل ١٩٧٧ .
- تاريخ اللغات السامية . ولفنسون ، ط ١ ، دار القلم ، بيروت ١٩٨٠.
- التبصرة في القراءات ، مكي بن ابي طالب ، تح ، د. محيي الدين رمضان ، الكويت، معهد المخطوطات العربية ١٩٨٥ .
- التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي ، تح احمد شوقي الامين ، واحمد حبيب القصير ، النجف الاشرف ، المطبعة العلمية ١٩٥٧ .
- الترادف في اللغة ، حاكم مالك لعبيبي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٠ .
- التطور اللغوي التاريخي . د. ابراهيم السامرائي ، ط ٢ ، دار الاندلس ، بيروت ١٩٨١.
- التطور النحوي للغة العربية ..ح. برجستراسر ، المركز العربي للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨١ .
- تهذيب اللغة ، لابي منصور محمد بن محمد الأزهرى (٣٧٠ هـ) ، تح ، عبد السلام هارون واخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ .

- التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني ، عني بتصحيحه اوتوبرتزل ، استنبول ، مطبعة الدولة ١٩٣٠ .
- الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (٧٦١ هـ) ط ، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م .
- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تح ، د. عبد العال سالم مكرم ، بيروت، دار الشروق ، ١٩٧٧ .
- الخصائص ، لابي الفتح عثمان بن جني ، (٣٩٢ هـ) تح ، محمد على النجار ، ط ٢ ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت (اوفيسيت) .
- السبعة في القراءات ، لابي بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، (٣٢٤ هـ) تح ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، (د.ت) .
- شرح المفصل ، لابي يعيش ، مصر ، طبع ونشر ادارة الطباعة المنيرية (د.ت) .
- الصاحبي في فقه اللغة ، لاحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥ هـ) تح ، د. مصطفى الشويمي ، بيروت ١٩٦٣ م .
- العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ، يوهان فك ، ترجمة د. عبد الحليم النجار ، مط دار الكتاب العربي . القاهرة ، ١٩٥١ م .
- العربية ولهجاتها ، د. عبد الرحمن ايوب ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ .

- علم اللغة العربية ، د. محمود فهمي حجازي ، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣ م .
- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .
- العين ، لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) تح ، د. مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠ .
- فصول في فقه اللغة ، د. رمضان عبد التواب ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٠ .
- فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، ترجمة د. رمضان عبد التواب ، جامعة الرياض ١٩٧٧ م .
- فقه اللغة في الكتب العربية . د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ م .
- في اللهجات العربية ، د. ابراهيم انيس ، ط ٢ ، مصر ، د.ت .
- القراءات واللهجات ، عبد الوهاب حمودة ، ط 1 ، مط السعادة بمصر ١٩٤٨ م .
- الكتاب السيوي ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٨٨ م .
- لسان العرب ، لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٧١١ هـ) ، دار صادر، بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م .
- لهجات العرب ، احمد تيمور باشا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م .

- اللهجات العربية في التراث ، د. احمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٧٨ م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن لمؤلفه الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، وقف على تصحيحه وتحقيقه الحاج السيد هاشم الرسولى المحلاتي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣٧٩ق - ١٣٣٩ ش .
- قراءات اهل البيت القرآنية ، السيد مجيب الرفيعي ، دار الغدير للنشر والطباعة والتجليد ، قم ، ط ١ ، ٢٠٠٣ .
- القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ، د. مي فاضل الجبوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- القراءات القرآنية بين المستشرقين والنحاة ، د. حازم سليمان الحلي ، مطبعة الاضاءة ، النجف الاشرف ، ١٩٨٧ م .
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د. عبد الصبور شاهين ، مطابع دار القلم (د.ت) .
- المحكم والمحيط الاعظم في اللغة ، لعلي بن اسماعيل بن سيده (٤٥٨ هـ) ، تح ، مصطفى السقاود ، حسين نصار ، ط ١ ، مصطفى البامي الحلبي واولاده بمصر ١٩٥٨ م .
- المخصص ، لابن سيده ، المكتب التجاري ، بيروت ، (اوفيسيت) .
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د. مهدي المخزومي ، ط ٢ ، مصطفى البامي الحلبي واولاده ، بمصر .

المزهر في علوم اللغة وانواعها ، لجلال الدين السيوطي ، تح.

محمد احمد جاد المولى وآخرين ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر (د.ت) .

مشكل اعراب القرآن ، مكّي بن أبي طالب ، تح ، حاتم الضامن ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٧٥ م .

- معاني القرآن ، لابي زكريا الفراء ، تح ، محمد علي النجار و اخرين ، القاهرة ، ١٩٥٥ - ١٩٧٢م.

- نحو وعي لغوي ، د. مازن المبارك ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الدوريات :

جوانب من الفوارق اللهجية في النحو والقراءات ، د. عبد الحسين محمد الفتلي ، مجلة المورد ، مج ١٧ ، ٢٤ ، ١٩٨٨ م .

مظاهر التأثير الصوتي في اللهجات العربية ، عبد الجبار عبد الله العبيدي ، مجلة جامعة الانبار ، (الآداب والعلوم الاجتماعية) مج ١ ، العدد ١ ، ١٩٦٧م .